# جامع المنصور ببغداد وأثره في الحياة السياسية والفكرية

د. قاسم حسن آل شامان السامرائي

جامعة تكريت ـ كلية التربية/سامراء ـ قسم التاريخ

المقدمة

يُعدُّ جامع المنصور من أقدم جوامع بغداد، بل أن لبناته الأولى وضعت مع أولى لبنات بغداد المدورة يوم وضع أساسها الخليفة أبو جعفر المنصور عام ١٤٥هـ.

وقد طوّره الخلفاء العباسيون الواحد بعد الآخر ، فمنهم من أعاد بنائه أو جزءً منه ومنهم من وسّعه وأضاف إليه ، ومنهم من تميز في تطويره كالخليفة الراضي بالله الذي أضاف إليه سقاية سميت بسقاية الراضي بالله ، وقد أصبحت فيما بعد مكاناً لخلوة وتعبد الزهاد والمتعبدين .

تطور هذا الجامع حتى أضحى له موظفين يقومون عليه ، وأخذ تطوره مديات أبعد ، يوم ازدادت الحلقات العلمية ومجالس الإملاء التي يعقدها كبار علماء وفقهاء ومحدثي تلك العصور ، حتى أصبح عقد المجلس في هذا الجامع أُمنية راودت الكثير من هؤلاء وعلى رأسهم الخطيب البغدادي .

ولما كان هذا الجامع يقع في محلة باب البصرة المعروفة بأهلها الحنابلة المتعصبين ، فقد كانت المجالس العلمية والمحاضرات يتم عقدها ضمن إجراءات عديدة وحسب الشخص العاقد والتي يتطلب بعضها موافقة الخليفة العباسي حصراً .

استمر جامع المنصور بأداء رسالته العلمية والروحية حتى القرن الثامن الهجري أو بعده بقليل ، بعد أن بدأت المدرسة المستنصرية تستحوذ على وظيفته العلمية بمرور الأيام ثم اندثرت معالمه ، ولم يبق منه سوى محرابه الذي رأى بعض الباحثين انه المحراب الموجود بجامع الخاصكي والذي تم نقله إلى هذا الجامع في زمن لاحق .

احتوى البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ، تناول المبحث الأول التطور العمراني للجامع وإدارته وموظفيه ومنشآته ، فيما تناول المبحث الثاني أثره في الحياة السياسية والإعتقادية وما شهده الجامع من تطورات وأحداث سياسية واعتقاديه عصفت ببغداد آنذاك .

وتناول المبحث الثالث أثر جامع المنصور في الحياة الفكرية، وكيف أضحى منبراً فكرياً عقدت فيه حلقات العلم المختلفة، كحلقة أهل الحديث وحلقة الفقهاء وحلقة النحويين وغيرها.

كما تناول البحث موضوع الصلاحيات وكيف تم حصرها ولو في حالات معينة في الخليفة العباسي حصراً.

ثم أردفت البحث بخاتمة احتوت على جملة من النتائج التي توصل إليها بحثنا الذي هو صورة مختصرة لكتاب لنا في هذا الموضوع في طريقه للنشر، والله ولي التوفيق.

الباحث

المبحث الأول : العمران والإدارة

أ- العمران

أ- التأسيس : عُرفت الدولة العباسية عبر تاريخها الطويل بشغف واهتمام الخلفاء بالناحية العمرانية ، وكان للخليفة أبو جعفر المنصور أثر كبير في ذلك ، فلقد ترك هذا الرجل بصمات واضحة على من خلفه من خلفاء بني العباس في هذا الجانب فعندما وضع الحجر الأساس لمدينته الجديدة بغداد بعد أن خططها عام ١٤٥هـ في الموقع المعروف بذات الاسم ( بغداذ ) ذلك الموقع الكائن في المنطقة العراقية القديمة التي يرجع تاريخها إلى حوالي أربعة الآف عام(١) .

ووفقاً لتصميم المدينة الجديدة المدّور الشكل فقد سماها بالمدينة المدورة ، ومدينة السلام ، جاعلاً المسجد الجامع في قلبها ملاصقاً لقصره المعروف بقصر الذهب وهو الصحن العتيق ، الذي بناه باللبن والطين(٢) ، ويقع في الجانب الغربي من المدينة ، وقد كانت مساحته حين بناه المنصور ١٠ آلاف متر مربع وظل حتى القرن الثامن الهجري ثم عفي عليه الزمن بعد ذلك(٣).

وبشيء من التفصيل يقدم لنا الخطيب البغدادي وصفاً وقياساً للجامع ، فقد كانت مساحته (( مائتين في مائتين ذراع ، وأساطين الخشب في المسجد يعني كل اسطوانة قطعتين معقبتين بالعِقَب والغري وضبّات الحديد إلأ خمساً أو ستاً عند المنارة ، فأن في كل أسطوانة قطعاً ملفقة مدورة من خشب الأساطين )) (٤) ، وهذا يعني انه مربع الشكل .

أما قبلته فأنها تحتاج إلى أن تحرّف إلى باب البصرة قليلاً ، إذ أن قبلة جامع الرصافة أصوب منها ، وقد بقي على حاله هذا إلى زمن الخليفة هارون الرشيد الذي أمر بنقضه وإعادة بنائه كما سيرد(٥).

أما الجانب الشرقي لبغداد ، فقد أمر الخليفة المنصور ابنه المهدي أن يبني له فيه دوراً ، وأصبحت المدينة بضفتيها فيما بعد ذات مركز لهم(٦) إذ قطن الخليفة المنصور في المدينة الجديدة يوم أتمّ بناؤها سنة ١٤٩هـ مبدياً عنايته بكل ما يطورها ويجعلها مركزاً حضرياً فأحاط النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية والعمرانية والدينية برعايته وكان من بينها العناية بالمساجد والجوامع(٧).

وتوسعت بغداد وقامت فيها محال عديدة لعل منها محلة الحربية التي تشمل النصرية والشكرية ودار بطيخ والعتابين ، إذ تقع محلة الحربية بعد محلة باب البصرة التي أنشئ عليها جامع المنصور(٨).

أما محلة باب البصرة التي أقيم فيها صرح المسجد الجامع فهي تقع في الجانب الغربي من بغداد ، وهي من المحال التي قطنتها الأسرة العباسية من غير الخلفاء، وتطورت في كل نواحيها واشتهرت فيما بعد بأهلها الحنابلة المتعصبين، وموقعها اليوم يوافق قرية الوشاش الحديثة ببغداد في أعلى نهر الخر أو شرقه بقليل(٩).

فلقد كانت هذه المحلة في العصور العباسية المتأخرة تشمل مدينة المنصور المدورة وبعض أطرافها الجنوبية بما في ذلك بركة زلزل ، حتى أضحى أمر هذه المحلة إلى نقيب النقباء العباسيين ، لكن هذا لا يكفي للجزم بأن أفراد البيت العباسي عموماً والبيت الزينبي الذي ينسب إليه النقيب خصوصاً كانوا يسكنون في محلة باب البصرة(١٠) .

وبتعاقب الأيام والسنين قيل أن عدد المساجد في بغداد بلغت ثلاثة الآف مسجد ، أي ثلاثة الآف من المساجد غير الجامعة ، التي لا تقام فيها صلاة الجمعة(١١)، بعد أن كانت بغداد قد بقيت (( مدة حوالي قرن ونصف وليس فيها إلا مسجدين جامعين هما جامع المنصور في الجانب الغربي، وجامع الرصافة في الجانب الشرقي ، ثم أضيف جامع القصر إليها، أما الجوامع الآتية فقد شيدت متأخرة ولم تكن لها ما للجوامع الأولى من أهمية ومكانة ))(١٢).

ب- التطور العمراني لجامع المنصور

مرّ جامع المنصور بمراحل عمرانية متعددة لعل من أبرزها :

١- البناء الأول في زمن اختطاط بغداد عام ١٤٥- ١٤٩ [١٣] ، إذ كان البناء باللبن والطين ، إذ كانت مساحته ٢٠٠ × ٢٠٠ ذراع[١٤]، وقد فصلنا فيها قبل صفحات ولعل من أهم ما أخذ عليه أن قبلة الجامع تحتاج إلى أن تحرف إلى باب البصرة قليلاً[١٥].
٢- أعاد الخليفة هارون الرشيد بناء الجامع ، إذ تم هدمه وإعادة بنائه بالآجر والجص ، وذكر عليه أمره ببنائه وتسمية البنّاء والنجار وتاريخ ذلك ، وهو ظاهر على الجدار خارج المسجد[١٦].
٣- وفي الصحن العتيق الذي هو الجامع كانت الصلاة حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقطان ، التي كانت قديماً ديوانا للمنصور فأمر مصلح التركي ببنائها على يد صاحبه القطان فنسبت إليه وجعلت مصلى للناس وذلك في سنة ٢٦٠ أو ٢٦١ هـ[١٧].
٤- أما الخليفة المعتضد ( ٢٧٩- ٢٨٩ هـ ) فقد زاد الصحن الأول وهو قصر المنصور ووصله بالجامع ، وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار ١٧ طاقاً ، منها إلى الصحن ١٣ طاق ، وإلى الأروقة ٤ أطواق ، وحوّل المنبر والمحراب والمقصورة إلى المسجد الجديد ، وبعد أن تناهى إلى سمعه ضيق المسجد الجامع بالجانب الغربي من مدينة السلام في مدينة المنصور وأن الناس يضطرهم الضيق إلى يُصلّوا في المواضع التي لا تجوز في مثلها الصلاة[١٨].

فبنى مسجداً على مثال المسجد الأول في مقداره أو نحوه ثم فتح صدر المسجد العتيق ووصل به فأتسع به الناس ، وكان الفراغ من بنائه والصلاة فيه في سنة ٢٨٠هـ[١٩].

٥- أما الخليفة الراضي بالله ( ٣٢٢- ٣٢٩هـ ) فقد أنشأ سقاية بجامع المنصور عُرفت بسقاية الراضي بالله ، إذ كان يقيم بتلك السقاية عدد من الشيوخ الزاهدين الصالحين العابدين ، وسنفصل القول في السقاية لاحقاً[٢٠].
٦- وفي عام ٤٥٨ هـ تم إكساء الجامع وتم فرشه بالبواري ، فدخل فيه اربع وعشرون الف ذراع وثلاثمائة منّاً من الخيوط ، وقد استلم الصنّاع الخياطين لها اجرتهم عشرين ديناراً[٢١].

ويوم غرقت بغداد نتيجة توالي الأمطار عام ٦٤٦هـ وفيها الجانب الغربي الذي غرق بأسره وتهدمت معظم الدور ولم يسلم منه سوى بعض باب البصرة والكرخ ، فقد دخلت الماء جامع المنصور وهدم رباط الزوزني[٢٢]

وقد ظل هذا الجامع بمنشأته المختلفة محتفظاً برونقه يضاف إليه ويرمم كلما دعت الحاجة والظرف حتى العام ٦٥٣ هـ ، إذ أتفقت أمور عصيبة وحوادث غريبة كان منها غرق ذلك العام الذي أطبق على بغداد ولا سيما دار الخلافة والدور الشطانية من الجانبين ، وتهدمت الجوامع والمساجد منها جامع المنصور والقبة الخضراء المجاورة له ، ورباط الزوزني المقابل له والكثير من المساجد والربط[٢٣].

ويظهر أن جامع المنصور لم يفقد مكانته ولم ينطف نوره ، إذ أستمر في أداء رسالته حتى القرن الثامن الهجري أو بعده بقليل ، فابن بطوطة يصف لنا بغداد ومحلاتها ومساجدها الجامعة يوم زارها عام ٧٢٧هـ فيقول عن الجانب الغربي[٢٤]: (( وهو الآن خراب أكثره ، وعلى ذلك فقد بقي منه ثلاث عشرة محلة ، كل محلة كأنها مدينة بها الحمامان والثلاثة ، وفي ثمانٍ منها المساجد الجامعة ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله )) ويقصد به جامع المنصور .

وقد حظي هذا الجامع برعاية وعناية البيت العباسي من بني هاشم ، إذ تعاقب على رعايته وتولي أمامة الصلاة أو الخطبة عدد غير قليل من هذه الأسرة ، ولعل أول ما ذكرته المصادر هو

إبراهيم بن عيسى بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن برُيّة الهاشمي ، إذ كان يؤم الناس فيه أيام الجمع والمناسبات وقد عرف عنه أنه كان صاحب تنسك[٢٥].

ب- الإدارة

مكونات الجامع ( منشآت الجامع )

وبمرور الأيام أضحى لجامع المنصور أبنية مختلفة من صُلبِه أو ملحقة به وهي :

- المصلى : وهو الصفة ، وفيه خمس سواري بقدر سواري جامع البصرة ، والسواري هي الأساليب الموازية لجدار المحراب وفي كل أسكوب سبعة عشر طاقاً منها إلى الصحن ثلاثة عشر وإلى الأروقة أربعة[٢٦].
- المجنبتين : وكان لكل منهما رواقان[٢٧].
- المؤخرة : وتتكون من راوقين أيضاً [٢٨].
- الصحن : وهي المساحة التي تتوسط المصلى والمجنبتين والمؤخرة[٢٩].
- المنارة : ذكرتها المصادر ولم نجد لها وصفاً .
- سقاية الراضي : وهي البناء الملحق بجامع المنصور التي تم استحداثها في زمن الخليفة الراضي بالله ( ٣٢٢- ٣٢٩هـ ) لتقدم خدماتها إلى الزهاد والعباد والمنقطعين لعبادة الله تعالى كما سنرى لاحقاً .
- المقصورة : وهي مكان مخصص إلى الخواص كالخلفاء والوزراء وأرباب الوظائف والقضاة وغيرهم ، إذ يقف على أبوابها بوابون بثياب سواد يمنعون من دخول أحد غليها إلا الموصوفون أعلاه إذ كانوا يتميزون على الآخرين بالأقبية السود[٣٠].

موظفو الجامع

إذا ما تجاورنا الأئمة والخطباء الذي سنتطرق إليهم تفصيلاً ، فأن المصادر لم تسعفنا بشيءً من التفصيل عن موظفي أو عمال جامع المنصور سوى بعض الإشارات هنا وهناك .

فقد كان الخلفاء العباسيون حريصون على توجيه النقباء الذين تقع ضمن مسؤولياتهم الخطابة وإمامة الصلاة ليتولوا واجباتهم بأكمل وجه ، ففي عهدٍ من الخليفة العباسي إلى نقيب النقباء العباسيين رسم له الخليفة واجبة بهذا الخصوص ويتطرق فيه إلى مسؤولية في تنظيم غدارة الجامع وموظفيه إذ تترتب عليه [٣١]:

أ – الأمر بجمع المؤذنين والمكبرين

ب- إحضار القوام والمرتبين

على أن يحضر الجميع في أتم أهبة وأجمل هيئة بقلوب خاشعة دامعة ، وألسن مسبحة مقدسة .

وبذلك يكون موظفو الجامع هم ما مذكورين في أعلاه وهم كالأتي :

* الناظر في الجامع والقائم بأمره

ذكرت لنا المصادر الفقيه أبو بكر عبد الغفار بن عبد الرحمن الدينوري ( ت٤٠٥هـ ) ووصفته بأنه كان يتولى مسؤولية النظر في جامع المنصور والقيام بأمره[٣٢].

أما أبو العباس أحمد بن يعقوب بن عبد الله البغدادي الصوفي المارستاني ( ت٦٣٩هـ ) فقد كان يتولى وظيفة ( القيمّ ) بجامع المنصور[٣٣]، علماً أن هذا القيمّ كان راويةً للحديث عن

جماعة من المحدثين منهم أبو المعالي بن اللحاس وحفيده العطاردي وغيرهم [٣٤] ، وهذه إشارة إلى مكانة الجامع عند أهل العلم .

- *المؤذن*

ومنهم أبي عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن بن بيان المعروف بابن مجوجا المكبر ( ت٤٣٧هـ )الذي وصفته المصادر بأنه المؤذن بجامع المنصور[٣٥].

وقد وصف هذا الرجل بأنه حدّث عن جماعة ، ويقول الخطيب البغدادي عنه[٣٦]: (( كتبت عنه وكان صدوقاً ، وذكر لي أنه كتب عن حبيب القزاز وابن مالك القطيعي أمالي ، وأن كتبه ضاعت .. ))

- مرتب الصفوف

ووصلت إلينا وظيفة أخرى بهذا الجامع وهي (( مرتب الصفوف )) وهي ذات دلالة على سعة الجامع وعدد المصلّين ، فقد وُصِفَ علي بن أحمد بن محمد بن علي الدهان ، أبو الحسن بن أبي القاسم بن أبي بكر بن أبي الحسن المرتب ( ت٥١٨هـ ) بأنه كان مرتب الصفوف بجامع المنصور ، وكانت لهذا الرجل معرفة بأحوال القضاة والشهود والخطباء ، وجمع جزءً في وفاءات الشيوخ ، وكان أمياً يملي على الناس ويكتبون له ، إذ كان قد سمع من أكابر عصره ، وروى عنهم ، كما روى عنه جماعة بعضهم قرأ عليه بداره في شارع دار الرقيق ببغداد[٣٧].

- *المكبرون*

ونظراً لشدة الزحام في صلاة الجمعة بهذا الجامع وامتدادها إلى أماكن واسعة مجاورة له ، فقد كان هناك مكبرون ينقلون التكبيرة بصورة متتابعة إلى أخر الصفوف ، فالصلاة (( قائمة بمكبرين ينقلون التكبير عند الركوع والسجود والنهوض والقعود . )) [٣٨] ، وأغلب الظن أن المكبرين يتطوعون بذلك قربى إلى الله .

- <u>البوابون</u>

ورد ذكر البوابون بجامع المنصور في حديث وشاح مولى أبي تمام الزينبي عند وصفه صلاة الجمعة بالجامع ، واختصاص مقصورة الجامع على الخواص المتميزين من الناس ، إذ يقف على أبواب المقصورة (( بوابون بثياب سواد يمنعون من دخول أحد إليها إلا من كان من الخواص المتميزين بالأقبية السود . )) [٣٩].

## المبحث الثاني : <u>الأثر السياسي والاعتقادي</u>

### <u>أ ـ الأثر السياسي</u>

لم يكن جامع المنصور مجرد جامع تقام فيه الصلوات الخمس وخطبة وصلاة الجمعة ، وإنما كان منبراً سياسياً وعلمياً وفكرياً ، إذ شهد في الجانب السياسي كثيراً من الأحداث التي كان الجامع ساحة لها أو جزءً منها .

ففي العام ٣٢٢هـ خُلع الخليفة القاهر بالله العباسي وسُملت عيناه ، وتردى حاله ، ولم يجد من يعينه ، الأمر الذي أضطره إلى الخروج إلى جامع المنصور ببغداد ، مُعرّفاً الناس بنفسه ، سائلاً إياهم التصدق عليه ، فتقدم إليه ابن أبي موسى الهاشمي وهو من أبناء عمومته فأعطاه ألف درهم[٤٠]، ليكفيه عن ذل السؤال .

ولضعف هيبة ولي الأمر، ولتتابع النكبات على بغداد بفعل سيطرة وسطوة العناصر التركية على مقدرات الدولة فقد كاد الخراب أن يستولي عليها، واشتدت الفتن بين أهل بغداد والمتسلطين

الغرباء، فاجتمع البغاددة بجامع المنصور يقول الذهبي[٤١]: (( ورفعوا المصاحب واستنفروا الناس ، واجتمع الفقهاء والهاشميون والرافضة واستغاثوا من جَور الترك ، فغمدت الأتراك – متجهم الله – ورفعوا صليباً على رمح وترامى الجمعان بالنشاب والآجر وقتل عدة ثم تحاجزوا )) .

وأنفرد سبط ابن الجوزي بذكر حالة واحدة تعرض فيها جامع المنصور لغارة الأعراب، ففي رمضان عام ٤٢٥ هـ أغارت الأعراب على الجامع (( فسلبوا الرجال عمائمهم والنساء ثيابهم في المقابر )) [٤٢].

وكان جامع المنصور منبراً للخلاف المحتدم بين الخلافة العباسية ببغداد والفاطمية في مصر ، فيوم تحول الولاء السياسي للقائد التركي ارسلان البساسيري وهو المسؤول عن حرس الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢ – ٤٦٧ هـ ) إلى الخلافة الفاطمية في القاهرة متحدياً بفعله هذا الخليفة العباسي الذي سبق وأن قدمه على جميع الترك مقلّده الأمور كلها ، لكنه خرج على الخليفة ونجح من بغداد بعد أن استولى في ٨ ذي القعدة سنة ٤٥٠ هـ وكانت بغداد من ضمنها[٤٣]، إذ خطب ببغداد وبالتحديد في جامعي الرصافة والمنصور خطباً أعلن فيها الولاء لحاكم مصر المستنصر العلوي الفاطمي[٤٤]، وكانت خطبته بجامع المنصور يوم الجمعة ١٣ ذي القعدة من ذلك العام الأمر الذي أضطر الخليفة إلى شحذ همّة أمير العرب محي الدين العقيلي صاحب الحديثة وعانة ، كما أعانه السلطان طغرل بك السلجوقي فقاتل البساسيري وقتله في ١٥ ذي الحجة سنة ٤٥١ هـ فعاد الخليفة إلى مستقره ببغداد[٤٥].

وبعد صلاة الجمعة ٤ ذي الحجة سنة ٤٦٠ هـ وقعت بجامع المنصور فتنة وصفها ابن البناء بالعظيمة ، إذ بلغ الناس (( أن ابن البدن ، والناسخ ، قالوا : نريد أن نحمل ابن عقيل إلى الجامع ، فأفتنوا الجامع بذلك ، ووقع القتال ، وأخذت عدة عمائم ، وهُشّم جماعة )) [٤٦].

ويوم تولى الوزير ابن جهير الوزارة في يوم الثلاثاء مستهل شهر ربيع الأول سنة ٤٦١ هـ ، أعدت له الخلع ، إذ خلعت عليه يوم الأربعاء ، ومضى الناس إلى تهنئتهِ يوم الخميس ، وفي يوم الجمعة (( ركب إلى جامع المنصور بالخلع التي خلعها الخليفة عليه ، وكان يوماً مشهوداً على ما قيل لي ، ونثروا عليه في مواضع )) [٤٧].

وبباب جامع المنصور ، في يوم الجمعة ٣ربيع الآخر سنة ٤٦١ هـ تعلّق علج من العجم بامرأة ، فاستغاثت بالمسلمين ، وجرى أثر ذلك فتنة كسابقتها إذ وثبت الناس لتخليصها منه ، وهو يضرب بالسيف ومعه عدد من أهل جلدته ، الأمر الذي أثار مشاعر الناس وأقتتلوا وتم رميهم بالنشاب[٤٨]، يقول ابن البناء : (( ودخلوا الجامع وقتلوا في الصحن رجلاً جذمه بعض الأعاجم بالسيف ، فرمى برأسه ، وكان من باب الدير ، وجرحوا العدد الكبير بالنشاب ، ونهض الفقهاء من الرواق ، فبعضهم دخل دار القطان : ابن الصباغ وابن البيضاوي وغيرهما ، ومضينا نحن وأصحابنا إلى البدرية .. )) [٤٩].

وكان المكلف بإمامة صلاة الجمعة ذلك اليوم أبو علي الحسن بن عبد الودود ، إذ كانت نوبته ذلك اليوم فصلى بنفر ، وصلى الشريف أبو جعفر بن أبي موسى بجمٍ غفير من الناس الظهر أربعاً بعد فراغ ابن عبد الودود من الجمعة[٥٠].

وبعد تطورات كثيرة يسترسل ابن البناء في وصفها تكون الأمور قد بلغت مبلغاً والأذى حل بعموم الناس هناك وقد خاطب العميد عساكر العجم بعد أن أفهموه أن نقيب الهاشميين قد بعث إليهم قائلاً: (( لا احسن الله جزاءه ، ولا جزاءهم ، وقد أهلكتم الناس وأسأتم السمعة، لو أن الروم ملكوا المسلمين، ما فعلوا ما فعلتم ، إذ رأوهم في مساجدهم وصلواتهم . )) [٥١].

وعلى أثر ذلك ولاستكمال الصورة على ما حل بالناس بجامع المنصور وعظم المصيبة على أهل المصلين فقد خرجت النسوة في (( الطرقات مهتكات ، قد نبشوا الشعور ، وخرقوا الثياب ، ولطموا الخدود ، وكل ينادي بالويل : فهذه على ولدها ، وهذه على أخيها ، وهذه على زوجها ، وشاهدت من ذلك أمراً لم أشاهد

قط ، من باب الجامع – جامع المنصور – إلى أقصى نهر طابق، ثم نزلت من نهر عيسى ، وعبرت ، والناس قد انزعجوا أعظم انزعاج ))[٥٢] .

وقد وقع جماعة قتلى بجامع المنصور ، الأمر الذي أغاظ الحاجب السليماني فراح يتعقب القتلة حتى تمكن منهم يوم الأثنين ١٩ جمادى الأولى سنة ٤٦١ هـ إذ قتل الثلاثة الذين كانوا مسؤولين عن قتل الناس بجامع المنصور[٥٣]، الأمر الذي نال استحسان ودعاء الناس وأعيانهم ومنهم الشريف ابن سكرة الهاشمي[٥٤].

وتقع فتنة أخرى تنقطع الصلاة بجامع المنصور على أثرها ، وذلك صبيحة يوم الجمعة ١٥ ذي القعدة سنة ٤٦١ هـ ، كان العسكر مساهمين فيها ، إذ كبس العجم أصحاب اللقويا على الناس ، وأستولوا على دورهم ونزلوا فيها، ((واستغاث الناس، وانقطعت الصلاة في جامع المنصور، ولم يصلّوا . )) إذ كان قصد العجم نهب محلة باب البصرة إلا أن الحاجب السليماني ساهم ومن معه في كفّ الفتنة وإعادة الهدوء[٥٥].

وفضلاً عن ذلك فقد شهد جامع المنصور إعلان تعيين القاضي محمد بن علي بن محمد بن علي الدامغاني بن قاضي القضاة الدامغاني ، وهو من بيت القضاء والولاية والتقدم على رواية ابن الدبيثي ، إذ يقول[٥٦]: (( وفي يوم السبت رابع عشرين شهر ربيع الأخر سنة أثنتين وخمس مائة ولاّه والده قضاة الجانب الغربي من مدينة السلام وواسط وغير ذلك وحضر بجامع المنصور وشافهه بالولاية . ))

وكان يخطب للسلطان سنجر السلجوقي ( ٤٩٠ – ٥٢٢هـ ) كل يوم جمعة بجامع المنصور ، إذ يبدو أن هذا الامتياز لم يكفه ، فأرسل في مستهل سنة ٥٢٢هـ رسولاً قدم إلى بغداد ليقابل الخليفة ومعه مطلب من سنجر بأن يخطب له على منابر بغداد الأخرى[٥٧].

ولأهمية هذا الجامع في الحياة السياسية والرسمية ، فقد كانت التعيينات الرسمية ومراسيمها أحياناً تعلن فيه على الملأ ففي المحرم ٥١٣ هـ خوطب الأكمل أبو القاسم الزينبي بقضاء القضاة وحكم في ٢٥ محرم وخلع عليه في شهر صفر بالديوان ومن هناك مضى إلى جامع المنصور للتثبيت[٥٨].

وعلى أثر انتهاء الحرب بين الخليفة المسترشد والسلطان مسعود السلجوقي وتحرر الخليفة من الأسر ، وجّه الشحنة عام ٥٢٩هـ رجالاً لنقض سور بغداد لأمر صدر له بذلك ، إذ كان أهل الجانب الغربي قد عمرّوه لحمايتها ، ويبدو أنهم يوم عمرّوه قد خلعوا باباً حديدياً من جامع المنصور ، ليضيعوه في السور مع أبواب حديدية أخرى ، وبالفعل أعادوا الباب الحديد إلى مكانه من الجامع[٥٩].

وكان من ضمن الاحتفالات المتواصلة بتنصيب الخليفة المستعصم العباسي آخر خلفاء بني العباس عام ٦٤٠ هـ والتي تزامنت مع استئناف رحلات الحج إلى الديار الحجازية المقدسة بعد إنقطاع دام أربعاً وثلاثين سنة[٦٠]، أن (( نفد إلى جامع المنصور وجامع المهدي بالرصافة وجامع السلطان وجامع فخر الدولة بن المطلب وجامع بهليقا ذهباً ودراهم ، نثر ذلك عند ذكر اسم الخليفة ، وكان مبلغ ما نفذ إلى كل موضع خمسمائة دينار وخمسمائة درهم ، وذكر الخطباء الأمر بالحج ورغّبوا فيه ، وعزموا الناس أنه قد وقع الشروع في أسبابه . ))[٦١].

ب ـ الأثر الاعتقادي: <u>جامع المنصور والإعتزال :</u>

شهد هذا الجامع حراكاً علمياً فيما يخص الاعتزال وإن لم يكن مؤثراً وواسعاً حسب ما أوردته المصادر ، إلا أنه مع ذلك كان الأثر قوياً وشهد منبره لعن المعتزلة والاعتزال ، كما شهد الجامع حراكاً علمياً آخر فيما يخص المعتقدات المخالفة الأخرى .

فقد برزت خلال القرن ( ٥هـ ) شخصية من المردارية يسمى راهب المعتزلة ، إذ كان هذا اللقب مأخوذا من رهبانية النصارى، ولقبوه بالمردار[٦٢] وكان الموقف من الاعتزال قد اتخذ من جامع المنصور منبراً له ، إذ كان من هذا المنبر لعن المعتزلة والاعتزال[٦٣].

ففي يوم الجمعة ١٢ شعبان سنة ٤٥٦هـ هجم قوم من أصحاب عبد الصمد علي أبي علي بن الوليد المدرس للمعتزلة (( فسبّوه وشتموه لامتناعه من الصلاة في الجامع ، وتدريسه للناس بهذا المذهب ، وأهانوه ، وجرّوه ، ولعنت المعتزلة في جامع المنصور ، وجلس أبو سعيد بن أبي عمامة ، وجعل يلعن المعتزلة ))[٦٤].

وكان أبو الحسن علي بن إسماعيل يجلس أيام الجمعات في حلقة المروزي الفقيه في جامع المنصور[٦٥] ، إذ عرف عن المتكلم هذا ولعه في التصانيف التي ترد على المعتزلة وغيرهم[٦٦] .

وكان شيخ المعتزلة أبو علي الوليد قد عزم عام ٤٦٠ هـ على إظهار مذهبه لأجل موت الشيخ الأجلّ أبى منصور بن يوسف ، وعلى أثر ذلك قام الشريف الزاهد الورع العابد أبو جعفر عبد الخالق بن عيسى العباسي ( ت ٤٧٠ هـ ) وعبر إلى جامع المنصور هو وأهل مذهبه وسائر الفقهاء وأعيان أهل الحديث وبلغوا ذلك (( ففرح أهل السنة بذلك وقرءوا كتاب التوحيد لابن خزيمة، ثم حضروا الديوان وسألوا إخراج الاعتقاد الذي جمعه الخليفة القادر بالله، فأجيبوا إلى ذلك، وقرئ هناك أي في جامع المنصور بمحضر الجميع ، واتفقوا على لعن من خالفه وتكفيره ... ))[٦٧]

وفي جانب آخر شهد منبر جامع المنصور نشاطاً إعتقادياً آخر تمثل فيما جرى من خلاف حاد (( لفساد قول جرى من المخالفين لما شاع قراءة كتاب – إبطال التأويلات - ))[٦٨].

فقد ألّف القاضي محمد بن الحسين بن الفراء ( ت ٤٥٨ هـ ) كتاباً في العقائد سماه ( إبطال التأويلات ) ولما تحرك مخالفو ما ذهب إليه القاضي في كتابه واشتدت الأزمة، دخل الخليفة القائم بأمر الله المعترك مناصراً لهذا الاعتقاد ، إذ أرسل إلى القاضي ابن الفراء طالباً منه كتابه هذا لتتم قراءته والإطلاع على مضمونه ، فأعيد إليه ومعه الشكر على تصانيفه كما أرسل إليه (( الاعتقاد القادري )) إذ كان هذا الاعتقاد موافقاً لما يعتقد به القاضي[٦٩].

وكان أحد أصحاب القاضي حاضراً ذلك اليوم وقد وصف لنا ما جرى من موقف الخلافة فيقول[٧٠]: (( رأيت قارئ التوقيع الخارج من القائم بأمر الله – رضوان الله عليه – قائماً على قدميه والموافق والمخالف بين يديه ، ثم أخذت في تلك الصحيفة خطوط الحاضرين من أهل العلم والفقهاء وعلى اختلاف مذاهبهم ، وجعلت كالشرط المشروط . )) وذلك سنة ٤٣٢ هـ .

وكان أول من كتب توقيعه الشيخ الزاهد ابن القز ويني[٧١]، إذ قال : (( هذا قول أهل السنة ، وهو اعتقادي وعليه اعتمادي . ))[٧٢]

وجاء بعده توقيع القاضي محمد بن الحسين بن الفراء ثم جاء بعد ذلك توقيعات الآخرين الذين كتبوا ومنهم القاضي أبو الطيب الطبري وأعيان الفقهاء ، من بين موافق ومخالف[٧٣].

وهنا يتضح دور جامع المنصور ، إذ لم يكتف الشيخ ابن القزويني الزاهد بذلك موجهاً كلامه للقاضي إذ قال له : (( لا أقنع بهذا ، وأنا أحضر بجامع المنصور ، وأملي أحاديث الصفات )) ، وبالفعل فقد حضر هذا الشيخ الزاهد عاقداً مجلسه بجامع المنصور جُمعاً مترادفات ، وأملى أخبار الصفات ، وهو ينتصر بذلك لما سطره القاضي[٧٤].

ج – أثر الصوفية :

التصوف (( علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية ))[٧٥].

وقد كان من المتصوفة من يقيمون في جامع المنصور وخاصة في شهر رمضان إذ كانوا يتناوبون الإمامة على صلاة التراويح إذ كان الواحد منهم يقرأ بحدود ( ٣٠ آية ) في كل ركعة الأمر الذي أستحبه الناس مما جعل من جامع المنصور ملتقى للمصلين في رمضان[٧٦] ،(( ولا ينصرفون من التراويح إلا في الثلث الأول من الليل أو قريب النصف منه ))[٧٧].

وقد قرأ ابن بهلول يوماً في جامع المنصور بعض من آيات القران الكريم ، فنهض إليه رجلٌ صوفي وهو يتمايل فقال كيف قلت فأعاد الآيات فقال الصوفي : بلى والله وسقط ميتاً[٧٨].

وكان مجلس للوعظ يعقد بجامع المنصور يتحدث فيه ابن السمّاك أحمد بن الحسين بن أحمد الواعظ ، إذ يتكلم فيه على طريقة أهل التصوّف ، إذ كان قد سافر وصحب الصوفية[٧٩].

وكان من أشهر المتصوفة المارستاني أبو العباس أحمد بن يعقوب بن عبد الله البغدادي الصوفي القيّم بجامع المنصور[٨٠]، وقد وصفه ابن العماد بأنه[٨١]: (( كان أديباً وذا ديناً وتفقه عالي وقد كان له عدة مشاركات في جامع المنصور واشتراكه بمجالس العلم والحديث )).

كما كانت السقاية التي أقامها الخليفة الراضي بالله بجامع المنصور مكاناً ينقطع إليه العباد المتزهدون وقد كان منهم من يقصده للتبرك به[٨٢].

المبحث الثالث : الأثر الفكري

بدأت ومنذ القرن الرابع الهجري تظهر بعض الفروق بين الدراسة في الجوامع وبينها في المساجد ، فقد كانت الجوامع تحتوي على حلقات علم متنوعة وعديدة بحسب سعة وفخامة الجامع ، فتنعقد في جهات مختلفة منها ، إذ تتخذ هذه الحلقات أسماءها أما من اسم شيخ الحلقة كحلقة ابن البناء ( ت٤٧١هـ ) كحلقة ابن زبيبا ( ت٤٦٠هـ ) وحلقة الخطيب البغدادي( ت٤٦٣هـ ) وحلقة رزق الله التميمي ( ت٤٨٨هـ ) وحلقة نور الهدى الزينبي ( ت٥١٢هـ ) وحلقة ابن الزاغوني ( ت٥٢٧ هـ ) ونحو ذلك او من اسم العلم الغالب عليها فيقال : (( حلقة أهل الحديث )) و(( حلقة النحويين ))[٨٣].

وكانت تدرس في هذه الحلقات العلوم المختلفة المعروفة آنذاك كالعلوم الشرعية مثل القراءات والتفسير والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله فضلاً عن العلوم الأخرى المساعدة ذات الصلة بها مثل اللغة والنحو والأدب ، كما كانت هناك حلقات لأصحاب الفتوى والوعظ والمناظرة[٨٤]، وذلك ما سيجده القارئ تفصيلاً في هذه الصفحات

وكانت شهرة صاحب الحلقة ومنزلته وقدرته على اجتذاب الحضور عاملاً خطيراً في تقرير سعة الحلقة وضيقها ، ومع ذلك فقد كانت حلقات المحدثين أحفل من حلقات الفقهاء نظراً لإقبال الناس على الحديث في تلك الأعصر وحبهم للاستكثار منه ، ولأنه لا يحتاج مثل الفقه إلى أسس معرفية سابقة فهو ذو صبغة تخصصية[٨٥].

أن الدراسة الفقهية في المساجد تشبه إلى حد بعيد الدراسة الجامعية الأولية في عصرنا ، إذ كان لزاماً على الطالب أن يكون قد قطع شوطاً في اكتساب المعارف العامة ، وأستوعب طرفاً منها ما يؤهله لهكذا دراسة ، وهو حينئذٍ يكون غالباً قد بلغ حدود العشرين من عمره[٨٦].

وكانت الحلقة العلمية على نوعين فإما أن تكون مختصة بموضوع واحد ، أو تشتمل على عدة موضوعات ، وهكذا تجد حلقة خاصة بالقرآن أو الفقه على مذهب بذاته ، أو الحديث أو المناظرة وهكذا ، أو تتضمن الفتوى والمناظرة مجموعتين أو الحديث والفتوى ، أو الفتوى والوعظ والحديث جميعاً ، فضلاً

عن أن بعض الحلقات تخصص للعوام وبما يتناسب مع مداركهم وثقافتهم[٨٧]، وذلك ما سيصبح جلياً عند استعراضنا لحلقات العلم بهذا الجامع .

وفي جامع المنصور كانت حلقاته العلمية كثيرة العدد ، ولنا من الزمن المتقدم إشارة واضحة لذلك ، فالخطيب البغدادي يشير إلى أنه[٨٨]: (( كان بجامع المنصور حين قدوم الشافعي إلى بغداد سنة ١٩٥هـ أما نـيّف وأربـعون حلقة أو خمسون حلقة )) ، وهو عدد ليس بالقليل في ذلك الوقت .

وسيتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن أصحاب الحلق العلمية بهذا الجامع في الغالب كانوا من المحدثين والأدباء والفقهاء والنحويين واللغويين والوعاظ والمفتين وغيرهم.

كما سنجد أن الابن قد يخلف أباه في حلقته أن كان من العلماء ، وذلك ما ظهر في خلافة أبي نصر محمد ( ت٥١٠هـ ) عندما خلف والده الحسن بن أحمد بن عبد الله ابن البناء البغدادي ( ت٤٧١هـ ) عند وفاته ، في حلقتيه بجامع المنصور وجامع القصر[٨٩].

وقد احتل جامع المنصور مكانة خاصة في قلوب العلماء والفقهاء والمحدثين فضلاً عن عموم الناس، إذ كان هذا الجامع يتميز من بين جوامع بغداد الأخرى في المنزلة السامية التي يحتلها في نفوس العلماء وطلبة العلم[٩٠].

فهناك حالات كثيرة تعبر عن اعتزاز هؤلاء بهذا الجامع ورغبتهم بل وامنيتهم لإلقاء المحاضرات أو عقد مجالس العلم وإملاء الحديث فيه كما ذكرنا بعض ذلك في حالة الخطيب البغدادي والواعظ البكري وابن العبادي .

فلقد كان الخطيب البغدادي مولعاً بجامع المنصور ، ويتطلع إلى أن يكون أحد الذين تُعقد لهم مجالس الإملاء بهذا الجامع حتى أنه لما حج شرب ماء زمزم ثلاث شربات وسأل الله عز وجل ثلاث حاجات كان منها أن يملي الحديث بجامع المنصور[٩١].

وفضلاً عن ذلك فقد (( دخل بعض الأكابر جامع دمشق أو صور ورأى حلقة عظيمة للخطيب ، والمجلس غاصّ ، يسمعون منه الحديث ، فصعد إلى جانبه ، وكأنه أستكثر الجمع ، فقال له الخطيب : القعود في جامع المنصور مع نفر يسير ، أحبّ اليّ من هذا . ))[٩٢].

لقد استجاب الله سبحانه وتعالى لرغبة الخطيب فكانت له حلقة عظيمة بجامع المنصور ، مع أصحاب الحلق الأخرى بالجامع الذين كانوا يوصفون بأنهم من كبار المحدثين والفقهاء واللغويين والنحويين والأدباء[٩٣].

أما الزاهد الورع العابد الشريف أبو جعفر عبد الخالق بن عيسى العباسي ( ت٤٧٠هـ ) فقد كتب وصيته إلى أبي عبد الله بن جردة ، وكان من بينها وصيته إلى أولاده من بعده والتي فيها[٩٤]: (( والصلاة بجامع المنصور أن سهل الله تعالى ذلك عليهم ... )) .

فلقد نقل لنا ابن البناء وصفاً لشخص حضور حلقة الشريف أبي جعفر المعقودة بجامع المنصور يوم الجمعة ٢٤ ربيع الآخر سنة ٤٦٠هـ ، إذ لم يبقَ أحد من القضاة والفقهاء والشهود إلا حضر ، ونقيب النقباء والهاشميين ، وكان يوماً مشهوداً والجمع كثيراً لا يحصى ، وتزاحم الخلق على المشايخ حتى خيف عليهم من الزحمة[٩٥].

ولم يكد يخلو جامع المنصور من فقيه يحظر فيه أو يعقد حلقة فيه ، لذا فقد عدّ خلّو هذا الجامع من الفقهاء (( مصيبة عامة ))[٩٦].

ولم يكن جامع المنصور مستحوذاً على تفكير العلماء في يقظتهم ، وإنما تعداه إلى منامهم ، فلقد نقل لنا ابن النجار أن العدل عطية بن علي القرشي الطبني القيرواني ثم البغدادي ( ت٥٣٣هـ ) رأى في المنام منشداً في محراب جامع المنصور ينشد أبياتاً من الشعر لم يكن الطبني قد سمعها قط ، والناس يبكون فحفظها عنه وهي[٩٧]:

| | |
|---|---|
| يا نفس يا نفس يا حيفي وموبقتي | قطّعت عمري بتعليل وتسويف |
| ما آن ترعوي ما آن أن تقفي | لا ترجعي إلا بتحذير وتخويف |
| غداً ترى قلقي غداً ترى ندمي | غداً ترى طول تخجيلي وتعنيفي |

وكانت حلقة القاضي محمد بن الحسين بن الفراء مزدحمة بأهل العلم ، إذ حزر العدد بالألوف ، مع نباهة من حضر من الأعيان ، وأماثل ذلك الزمان من النقباء وقاضي القضاة والشهود والفقهاء ، حتى أضحى ذلك اليوم مشهوداً[٩٨].

أن الزحمة بهذا الجامع سواء من العلماء والقضاة وغيرهم أم من عامة الناس إنما يعود إلى كون جامع المنصور معقلاً لأهل السنة والذين كانوا يجلّون الحديث ويقدرونه أعظم التقدير[٩٩].

وقد كانت صلاة الجمعة ببغداد لها امتيازها الخاص ، الذي يميزها على سائر البلاد ، فقد نقل لنا الخطيب البغدادي قولاً للشيخ أبي الإمام أبو بكر إذ يقول[١٠٠]: (( من حضر الجمعة بمدينة السلام عظّم الله في قلبه محل الإسلام ، لأن شيوخنا كانوا يقولون يوم الجمعة ببغداد كيوم العيد في غيرها من البلاد )) .

وقد كانت صلاة الجمعة بجامع المنصور مشهورة من حيث الزحام فقد حدّث وشاح مولى القاضي أبي تمام الزينبي يصف ذلك فيقول[١٠١]: (( أن القاضي أبا تمام كان يصلي في أيام الجمع على باب داره الراكبة لدجلة بباب خراسان والصفوف مادة من المسجد إلى ذلك المكان ، والصلاة قائمة بمكبرين ينقلون التكبير عند الركوع والسجود والنهوض والقعود ... وكان على أبواب المقصورة بوابون بثياب سواد يمنعون من دخول أحد إليها إلا من كان من الخواص المتميزين بالأقنية السود ، وأنه – وشاح – حضر في يوم الجمعة بدرّاعة يتبع القاضي أبا تمام فَرُدّ حتى مضى ولبس القباء ، وكان هذا رسماً جارياً مأخوذاً به في سائر مقاصير الجوامع )) .

وقد كانت حلقات الجامع متنوعة كما سنرى لاحقاً ، فكانت منها حلقة الفقهاء وموعدها كل يوم جمعة[١٠٢]، فضلاً عن حلقات علم ومجالس فتيا وإملاء .

ويظهر أن مكانة جامع المنصور العلمية قد بدأت تضمحلّ منذ بنى الخليفة المستنصر بالله العباسي المدرسة المستنصرية ، إذ أخذت هذه المدرسة على عاتقها تدريس العلوم المختلفة ومنها المذاهب الإسلامية ، إذ خصص مدرساً للحنابلة فيها كما خصص للشافعية والمالكية والحنفية ، وقد ذكر لنا ابن رجب أن معيداً للحنابلة كان يدرس المذهب بالمستنصرية[١٠٣].

على أنني تطرقت هنا للمجالس التي ذكرت صراحة على عقدها في جامع المنصور ، مع علمنا أن سائر الحنابلة كانت مجالسهم تعقد في هذا الجامع ، وأننا لنجد في المصادر كلام عن مجالسهم إلا أنها لم تشر تصريحاً إلى الجامع ، ما دفعنا إلى عدم التطرق إليهم ... والله أعلم .

## الصلاحيات

لم يكن لأغلب الحلقات والمجالس العلمية أن تعقد بجامع المنصور ، إلا بعد استحصال موافقة الخليفة الذي يوعز بدوره إلى نقيب النقباء العباسيين لكي يهيئ الجامع ويضبط الأمن فيه[١٠٤]، لكن ذلك لم يكن حالة عامة وسياق معتمد ، متبع بهذا الجامع ، وإنما كان بصدد وفق رؤية الخليفة وتقديره للموقف من كل

نواحيه وبالأخص ما يتعلق ويتصل بصاحب المجلس وموقف أهل محلة باب البصرة التي يقع فيها الجامع كما سنرى .

لقد ذُكرت للنقيب صلاحية تعيين المدرسين للتدريس في المساجد الكبرى أي الجوامع ببغداد[١٠٥]، لكننا لم نجد لذلك مصدراً في مصادرنا المتاحة ، وربما كان ذلك قائماً على تفسير خاطئ لبعض الروايات التي سنتطرق إليها لاحقاً والتي طالب فيها الخليفة من نقيب النقباء العباسيين تسهيل الأمر لمن تقدم بطلب للخليفة للأذن له بعقد مجلس إملاء للحديث في أحد مساجد بغداد ومنها بالدرجة الأولى جامع المنصور[١٠٦]، فكل ما لدينا أنه كان لزاماً على أي شخص يكون محل خلاف وجدل عقائدي وله الرغبة في الوعظ وإملاء الحديث في جامع المنصور أن يحصل من النقيب على ضمان سلامته ، وليس الموافقة على التدريس والإملاء ، فتلك صلاحية الخليفة فقط[١٠٧].

فقد كان الخطيب البغدادي ( ت٤٦٣هـ ) قد تقدم إلى الخليفة القائم بأمر الله طالباً منه موافقته على أن يُملي الحديث في جامع المنصور قائلاً : (( حاجتي أن يُؤذَنَ لي أن أُملي بجامع المنصور ، فتقدم الخليفة إلى نقيب النقباء بان يُؤذَنَ له في ذلك ، فحضر النقيب ))[١٠٨].

ومع أن الفعل (( يُؤذَنَ )) أستخدم في حالتي الخليفة ونقيب النقباء طراد الزينبي ، إلا أنه في حالة الخليفة كان يعني التصريح بالموافقة على إملاء الحديث بجامع المنصور ، وتلك سلطة يمتلكها الخليفة للترخيص بتلك التعيينات سواءً كانت مؤقتة أو دائمة ، في حين كان يعني في حالة نقيب النقباء تسهيل الأمر لصاحب الطلب[١٠٩]، وربما لمراقبته أيضاً تلافياً لتجاوزات فكرية وعقائدية منه قد تقع ومشاكل من أهل المحلة تنشب كردة فعل لا يحمد عقباها.

فلماذا إذاً كل هذه الإجراءات والمحاذير في جامع المنصور ، ولماذا يخص الخليفة نقيب النقباء العباسيين دون نقيب النقباء الطالبين ؟

أن طلب الخليفة من نقيب النقباء العباسيين ينحصر على تسهيل أمر من سيلقي المحاضرة ومنهم الخطيب البغدادي نفسه ، إذ أن جامع المنصور يعتبر من معاقل الحنابلة المناوئين للبغدادي ، وكانت مهمة النقيب بصفته مسؤولاً عن العباسيين من بني هاشم ، أن يؤمن جلسات الخطيب البغدادي لإملاء الحديث وحمايته من التظاهرات التي قد تؤدي إلى الشغب ، إذ أن الخطيب البغدادي كان من الحنابلة أصلاً ، ثم تحول إلى المذهب الشافعي، وهو تحول لا ضرر منه في حد ذاته ، لكنه كان يعني تحول ولائه وتأييده إلى الأشعرية التي كان الحنابلة يعارضونها ، إضافة إلى أن الخطيب البغدادي كان قد وصف أحمد بن حنبل بأنه (( سيد المحدثين )) والشافعي بأنه (( تاج الفقهاء )) وبذلك قلل من شأن ابن حنبل كفقيه على نحو ما فعله الطبري من قبل[١١٠] .

ولما كانت محلة باب البصرة التي يقع فيها جامع المنصور معقلاً للحنابلة ؟

وحيث أن أمر هذه المحلة يعود إلى نقيب النقباء العباسيين[١١١]، وأن بيوت عدد من الأُسر الزينبية كانت تقع في تلك المحلة التي كانت تشمل في العصور العباسية المتأخرة مدينة المنصور المدورة وبعض أطرافها الجنوبية بما في ذلك بركة زلزل[١١٢]، فقد كان لزاماً على أي شخصٍ محل جدل وخلاف ويرغب في الوعظ أو إملاء الحديث هناك أن يحصل من النقيب على ضمان سلامته ، وليس على إذن بمزاولة التدريس في الجامع ، فذلك أذن كان من حقوق وصلاحيات الخليفة وحده[١١٣].

ويؤكد تلك الصلاحية حادثة الواعظ الأشعري البكري ( ت٤٧٦هـ ) الذي كان يدعو لمذهب الأشعرية ، ويذكر معائب الحنابلة إذ أصرّ هذا الرجل على الوعظ والإملاء بجامع المنصور[١١٤]، وقد أفلح مسعاه عام ٤٧٥هـ بحصوله على موافقة الخليفة المقتدي بالله بذلك[١١٥]، ـ والتي يبدو إنها قامت بالأساس على توصية الوزير نظام الملك ـ إذ كتب له هذا الوزير بأن يجلس في كل جامع ببغداد، فجلس فيها كلها إلا جامع المنصور[١١٦]، فلما همّ بالجلوس بجامع المنصور وجه الخليفة أمره إلى نقيب النقباء طراد الزينبي

بتسهيل مهمة الوعظ لهذا الواعظ[١١٧]، ونتيجة لموقف البكري المتشدد تجاه الحنابلة ، فقد أعتذر النقيب عن تسهيل الأمر قائلاً : (( لا طاقة لي بأهل باب البصرة )) ، إلا أن الخليفة أصرّ على موقفه ، إذ تم إبلاغ النقيب بأنه (( لا بد من مداراة هذا الأمر )) مما أضطر النقيب أمام إصرار الخليفة إلى الرضوخ طالباً الاستعانة بالشحنة : (( ابعثوا إلى أصحاب الشحنة )) فجاءه الشحنة ومعه رجاله المسلحون[١١٨].

وينقل ابن النجار عن ابن الجوزي هذا الموقف بصورة أكثر وضوحاً إذ يقول أن نقيب النقباء العباسيين طراد بن محمد الزينبي لما تقدم إليه بتسهيل أمر جلوس هذا الواعظ قال لهم : (( قفوا لي حتى انقل أهلي من باب البصرة ، قيل : كيف ؟ قال : لأني أعلم أن المكان ينتهب ويجري مقتله ونحو ذلك ، قيل : لا بد أن تدبر هذا ، فقال : مروا كل أمير ببغداد معه تركي أن يبعثه إليّ ، قال : فأنتفى الأتراك وأغلق باب جامع المنصور إلا الباب الذي يلي باب البصرة وحده ، وترك على كل باب بعد غلقه تركيين يحفظونه وقال : لا يخرج أحد منكم يا أهل باب البصرة ! أعيرونا الجامع نكفر فيه ساعة ، ومن خرج فعلت به وصنعت ، وكان الخطيب يذكر في خطبته شاة أم معبد في أكثر أوقاته ، فقال له النقيب ، عجل الخطبة ، لا تذبح الشاة اليوم ، فلما فرغوا من الصلاة إلى الصحن الذي يلي القبلة صعد البكري والأتراك معهم القسيّ والنبل كأنهم يريدون القتال ، ولم يكن الجمع إلا قليلاً ، فتكلم ومدح أحمد وقال : وما كفر ولكن الشياطين كفروا ، فجاءت حصاة وأخرى ، فأحسّ بذلك النقيب ، فلما خرجوا أخذ القوام وقال : ويلكم أفَعل ما أفعل ويجري ما يجري ، قد جاءت ثلاث حصيّات من أين هذا ؟ فقالوا لا ندري ، فعاقب بعضهم فقالوا : والله فلان – وفلان عدّوا عشرة أو نحوهم منهم من يقرب إلى النقيب من الهاشميين وأختفوا في السطح وفعلوا هذا فأخذهم فعاقبهم ... )) [١١٩].

لقد كانت الخلافة تدرك جيداً حقيقة منطقة باب البصرة ، وشدة تعصب الحنابلة ، الأمر الذي تم تأكيده للفقيه ابن العَبّادي ( ت٥٤٧هـ ) ، إذ تقدم هذا الفقيه بطلبه في العام ٥٤٦هـ بأن يُؤذن له بالجلوس في جامع المنصور ، فقيل له : (( لا تفعل ، فأن أهل الجانب الغربي لا يُمكّنون إلا الحنابلة )) إلا أن هذا الفقيه أصرّ على طلبه ، مما أستوجب على نقيب النقباء العباسيين طلحة بن علي الزينبي أن يأخذ على عاتقه مسؤولية توفير الحماية ، فعُقِدَ المجلس وحضره النقيبان الطالبي والعباسي في ظل أعمال شغب وصيحات تنديد بهذا الفقيه وَرُشِق بالحجارة ، فتم تفريق الجمهور ، وأكمل الفقيه محاضرته وهو محاط بالجند شاهرين السيوف حتى نهاية الدرس ، ثم خرج مخفوراً (( وقد طار لبّه )) [١٢٠]، والذي يبدو أن من يثير الشغب من حنابلة أهل باب البصرة هم عامتهم يحرّكهم بعض متعصبيهم بدليل الرواية التي ذكرت تفريق الجمهور واستمرار المحاضرة .

وهكذا يتضح أن مهمة النقيب كانت توفير الحماية للمدرس أو المحاضر صاحب الأذن بالإملاء ، تنفيذاً لأوامر الخليفة أو من يمثله وأن الأمر لا يتعدى جامع المنصور لأهميته العلمية والذي يقع في منطقة باب البصرة ذات الغالبية الحنبلية المتعصبة ، بل ومعقل أهل السنة والجماعة الذين يجلّون الحديث ويُعظمونه إلى الحد الذي أشتهر الجامع به[١٢١].

وكما يبدو أن الخليفة يريد من وراء موافقاته للفقهاء وغيرهم على إملاء مجالسهم في هذا الجامع رغم علمه بحساسية الأمر زيادة الاحتكاك تقليلاً للتعصب وزيادة للتآلف بين أهل بغداد إبعاداً للتزمت والتعصب وبالتالي بث روح التسامح ورعاية العلم وأهله وإضفاء جوّ من الحرية الفكرية من غير أي مساس بالمعتقدات الروحية السامية .

## الخاتمة

توصل البحث إلى جملة نتائج لعل من أهمها :

- أن الخليفة أبو جعفر المنصور اختط موقع الجامع في قلب مدينته المدورة ملاصقاً لقصره المعروف بقصر الذهب في الجانب الغربي من بغداد
- ومع تطور بغداد عمرانياً وديموغرافياً أصبح الجامع ضمن المحلة المعروفة بمحلة باب البصرة
- ساهم في تطوير الجامع عدداً من الخلفاء فضلاً عن المنصور ومنهم الخلفاء : هارون الرشيد والمعتضد بالله والخليفة الراضي بالله
- ظل جامع المنصور يمارس دوره العلمي والروحي حتى القرن الثامن الهجري أو بعده بقليل
- أضحى لهذا الجامع موظفين قائمين في خدمته كالناظر والمؤذن ومرتب الصفوف والمكبرون والبوابون
- كان للجامع حضور في الكثير من الأحداث السياسية التي عصفت ببغداد والدولة العباسية
- شهد الجامع عدة نشاطات إعتقادية وبخاصة ما يتعلق بالاعتزال والتصوف
- احتشدت في جامع المنصور الحلقات العلمية ، واشتهرت فيه حلقات عديدة ، كحلقة الخطيب البغدادي وابن الزاغوني ورزق الله التميمي وحلقة نور الهدى الزينبي وغيرهم، وحلقة أهل الحديث وحلقة النحويين ، وقد ورد انه كان بجامع المنصور حين قدوم الشافعي إلى بغداد عام ١٩٥هـ بين ٤٠-٥٠ حلقة
- كانت تُدرّس في هذه الحلقات العلوم المختلفة المعروفة آنذاك كالعلوم الشرعية مثل القراءات والتفسير والحديث وعلومه والفقه وأصوله، فضلاً عن العلوم الأخرى المساعدة ذات الصلة كاللغة والنحو والأدب فضلاً عن حلقات لأهل الفتوى والوعظ والمناظرة
- ولشدة تعلّق الناس بالجامع وتلقي العلوم فيه، فقد أُعتُبِر خلوّ الجامع من الفقهاء (مصيبة عامة)
- أما صلاة الجمعة في جامع المنصور فقد كانت مشهورة من حيث الزحام الذي يشهده
- يظهر أن مكانة الجامع العلمية بدأت تضمحل يوم بدأت المدرسة المستنصرية تأخذ على عاتقها تدريس العلوم المختلفة ومنها المذاهب الإسلامية
- لم يكن لأغلب الحلقات والمجالس العلمية أن تُعقد بالجامع إلاّ بعد استحصال موافقة الخليفة العباسي ، ولم يكن ذلك حالة عامة وسياق معتمد وإنما كان بصدد رؤية الخليفة وتقديره للموقف من كل ناحية وبخاصة ما يتعلق بصاحب المجلس وموقف أهل محلة باب البصرة التي يقع فيها الجامع .

**الهوامش والتعليقات:**

**ملاحظة/ سأذكر هنا المعلومات كاملة عن المصدر والمرجع عند وروده لأول مرة مما يغنينا عن اعداد قائمة للمصادر والمراجع**

**(١) جواد ، مصطفى وأحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً ( بغداد ١٩٥٨ ) ، ج٢ ، ص٥٢ .**

**(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٠٧ ، أنظر : كذلك ليسنر ، يعقوب ، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى ، ترجمة د. صالح احمد العلي ، ( بغداد ١٩٨٤ ) ، ص١١١ .**

**(٣) ناجي معروف ، تاريخ علماء المستنصرية ، ج١ ، ص١٨٩ .**

**(٤) الخطيب ، تاريخ ، ج١ ، ص١٠٧ ؛ أنظر : كذلك ليسنر ، خطط بغداد ، ص١٠٨ .**

**(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٠٨ ؛ أنظر كذلك ليسنر ، خطط بغداد ، ص١١ .**

**(٦) الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٦٠ .**

**(٧) الهمذاني ، بغداد مدينة السلام ، ص٢٨ .**

**(٨) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٣٧ ، والحربية هي المكان الذي يسكن فيه الهاشميين وهي منسوبة إلى حرب بن عبد الله وهو من أهل بلخ ، أما دار بطيخ فهي محلة ببغداد معروفة ببيع الفواكه ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٣٧ أما العتابيين ، فهي محلة من بغداد مشهورة بصنع الثياب العتابية التي كانت تحاك من الحرير وسميت**

بالعتابية نسبة إلى عتاب أحد أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، أنظر : جواد ، دليل خارطة بغداد المفصل ، ج٢ ، ص١٠٥ وللتوضيح أكثر تنظر الخارطة رقم ( ٣ ) المرفقة الخاصة ببغداد في العهدين البويهي والسلجوقي .

(٩) رؤوف ، عماد عبد السلام ، مدارس بغداد في العصر العباسي ، ص١٦٣ .

(١٠) العلي ، معالم بغداد ، ص١٠٦ ، ونقيب النقباء العباسيين في فترة البحث كان من آل الزينبي وهم من نسل سليمان بن عبد الله بن محمد وقد أخذوا اسمهم من اسم زوجته زينب بنت سليمان بن علي .

(١١) المقدسي ، جورج ، نشأة الكليات ، ص١٩ .

(١٢) العلي ، معالم بغداد ، ص٩٨ .

(١٣) الخطيب ، تاريخ بغداد ، مجلد ١، ص١٠٧ ، أنظر كذلك ليسنر ، يعقوب ، خطط بغداد ، ترجمة صالح أحمد العلي ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص١١١ .

(١٤) الخطيب ، تاريخ ، مجلد١ ، ص١٠٧ .

(١٥) المصدر والصفحة نفسها .

(١٦) الخطيب ، تاريخ ، ج١ ، ص١٠٨ ، أنظر كذلك ناجي معروف ، تخطيط بغداد ( بغداد ١٩٦٦ ) ، ص٢١ .

(١٧) الخطيب ، تاريخ ، ج١ ، ص١٠٨ .

(١٨) المصدر والصفحة نفسها ، أنظر كذلك ، ليسنر ، خطط بغداد ، ص١١٢ وما بعدها .

(١٩) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٠٨ .

(٢٠) أنظر مثلاً ، ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٨٩ .

(٢١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨، ص٢٤٢

(٢٢) وقد ذكر ذلك بالتفصيل ابن الفوطي في الحوادث الجامعة المنسوب إليه وهماً ص١٨١-١٨٣ . ورباط الزوزني يقع بالجانب الغربي من بغداد ، ومن أرض جامع المنصور ، بناه أبو الحسن بن إبراهيم البصري ( ت ٣٧١هـ ) وسكنه أبو الحسن علي بن محمود بن إبراهيم بن فاخره الصوفي الزوزني فنسب إليه ، وللرباط مقبرة باسمه ، وزورن مدينة بين نيسابور وهراة كانت تعرف بالبصرة الصغرى لكثرة العلماء والأدباء الذين أنجبتهم . ناجي معروف ، تاريخ علماء المستنصرية ، ط٣ ، ( القاهرة ، ١٩٧٦ ) ج١ ، ص١٨٩ .

(٢٣) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ( منسوب له ) ، ص٢١٩ – ٢٢٠، أنظر كذلك ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص١١ .

(٢٤) رحلة ابن بطوطة ( بيروت ، ١٩٦٤ ) ، ص٢٢٤ ، وهذا ما يؤيده ناجي معروف في تاريخ علماء المستنصرية ، ج١ ، ص١٨٩ ، إذ يذكر أن جامع المنصور ظل حتى القرن الثامن الهجري ثم عفي عليه الزمن بعد ذلك .

(٢٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ( بيروت ، بلا ) ، ج١ ، ص١٣٤ ، وقد أفردنا مبحثين أحدهما لإمامة الصلاة والآخر للخطابة بهذا الجامع أستعرضنا ما ذكرته لنا المصادر ممن تولى هاتين المسؤولتين من الأعلام .

(٢٦) ناجي معروف ، تخطيط بغداد ، ١٩٦٦ ، ص٢٢ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص٢٣ .

(٢٨) المصدر والصفحة نفسيهما .

(٢٩) الحموي ، معجم البلدان ، مجلد١ ، ص٨٨٦ .

(٣٠) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص ٤٨ .

(٣١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٠ ، ص ٢٥٨ .

(٣٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مجلد٦ ، ج١١ ، ص٤٣٣ .

(٣٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٤ ، ص١١٠ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، مجلد ٣ ، ص٢٠٣ ، أقول ولعل القيّم هو من يقوم على خدمة وإدارة الجامع ، إذ أن في العراق اليوم يقال لمن يخدم المشاهد والعتبات المقدسة بـ (( الكيّم)) بالكاف الفارسية .

(٣٤) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، مجلد٣ ، ج٥ ، ص٢٠٣ ؛ الذهبي ، العبر ، ج٥ ، ص١٥٩.

(٣٥) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ٨ ، ص١٠٨ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص١٢٨ .

(٣٦) تاريخ بغداد ، ج ٨ ، ص١٠٨ .

(٣٧) ابن النجار ، ذيل تاريخ بغداد ، ج ١٨ ، ص١٠٤- ١٠٥ .

(٣٨) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٤٨ .

(٣٩) المصدر والصفحة نفسيهما .

(٤٠) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٢٧ وفي ذلك يقول ابن خلكان: (( وفي ذلك عبرة لاولي الألباب )) .

(٤١) دول الإسلام ، ج١ ، ص ٣٦٨ .

(٤٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق عبد الله القاضي ، ط٣ ( بيروت ١٩٩٥ ) ، ص ٢١٥ .

(٤٣) الخضري بك ، الشيخ محمد ، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ( الدولة العباسية ) ، ط١ ( بيروت ٢٠٠٠ م ) ، ص ٣٥٥ .

(٤٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، ط٣ ( بيروت ١٩٩٥ ) ، ص ٢١٥ .

(٤٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ١٩٢ ، انظر تفصيلات ذلك في الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص ٤٠١ – ٤٠٢ .

(٤٦) ابن البناء ، يوميات ابن البناء ، ج II ، ص٢٤١ ، وقد كان ابن البناء حاضراً إذ يقول : (( وكنت قد صليت وانكفيت )) ثم يسترسل في الصفحة الآتية ٢٤٢ في دور نقيب الهاشميين ( العباسيين ) في إخماد الفتنة ومعاقبة فاعليها وما أعقبه من تطورات .. أما ابن عقيل فهو أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي ( ت٥١٣هـ ) أحد أعلام الحنابلة ، ترجم له صاحب ذيل طبقات الحنابلة ترجمة طويلة ج١، ص١٤٢ وما بعدها،وهو صاحب ( كتاب الفنون ) أو ( التعليقات )

(٤٧) ابن البناء ، يوميات ، ج III ، ص١٦ ، والكلام يرويه ابن البناء نفسه .

(٤٨) ابن البناء ، يوميات ، ج III ، ص٢١- ٢٢ .

(٤٩) المصدر نفسه ، ج III ، ص ٢٢ .

(٥٠) ابن البناء ، يوميات ، ج III ، ص٢٢ ، وهذه الحالة في إعادة صلاة الظهر بعد الجمعة أربعاً قائمة على أساس تعدد الجمعات في المدينة الواحدة وأن ( الجمعة لمن سبق ) حسب حديث مروٍ عن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) وعلى ذلك فقد أجاز الفقهاء إعادة صلاة الظهر أربعاً تحوطاً وقد ألفت رسائل عديدة لعل منها رسالة للإمام السيوطي في ذلك بكتابه الحاوي للفتاوي فلتنظر .

(٥١) ابن البناء ، يوميات ، ج III ، ص٢٢ .

(٥٢) ابن البناء ، يوميات ، ج III ، ص٢٢ وأقول أن هذه التفاصيل لم تنقلها لنا المصادر والمراجع المعروفة إذ هو أمر ينفرد به ابن البناء . أنظر : الصفحات ٢١-٢٢ إذ فيها تفاصيل كثيرة عن هذا الحادث .

(٥٣) ابن البناء ، يوميات ، جI v ، ص٢٨٣ .

(٥٤) المصدر نفسه ، جI v ، ص ٢٨٤- ٢٨٥ .

(٥٥) المصدر نفسه ، جv ، ص٤٣١ ( أي الجزء الخامس ) .

(٥٦) ذيل تاريخ مدينة السلام ، مجلد٢ ، ص ١١٠ – ١١١ .

(٥٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٦٩٦ .

(٥٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص ٢٠٤ .

(٥٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٤٥ – ٤٩ ، وفي تلك الصفحات تفاصيل واسعة عن ذلك فلتنظر والشحنة وظيفة عسكرية يتولى صاحبها مسؤولية حفظ الأمن والنظام .

(٦٠) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص١٣٣ ( منسوب له ) .

(٦١) المصدر والصفحة نفسيهما .

(٦٢) السامرائي ، الغلو والفرق الغالية ، ص٢٧١ والمردارية : هم أتباع عيسى بن صبيح المعروف بابن موسى المردار .

(٦٣) البغدادي : عبد القاهر بن محمد أبو المنصور ، الفرق بين الفرق ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ج١ ، ص١٥٢

(٦٤) ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، البداية والنهاية ، بيروت، ج١٢، ص٥٥٢ .

(٦٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١١ ، ص٣٤٦ . والمروزي : مولده بمرو الشاهجان

(( قصبة خراسان )) ، أقام ببغداد أكثر أيامه وتوفي بمصر وله تصانيف كثيرة وكانت سنة وفاته ( ٣٤٠ هـ - ٩٥١ م ) الخطيب ، المصدر والصفحة نفسها . أما أبو الحسن فهو علي بن إسماعيل بن أبي شراء إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى أبو الحسن . أنظر ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ( بيروت ١٩٦٨ ) ، ج٢ ، ص٢٨٤ .

(٦٦) ابن عساكر : علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، تبيين كذب المفتري فيما نسبه إلى الأمام الأشعري ، ص٣ ، بيروت ، ١٤٠٤ ، ج١ ، ص٣٥ .

(٦٧) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، ج١ ، ص١٩ .

(٦٨) أبو يعلى ، طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص١٩٧ .

(٦٩) المصدر والصفحة نفسيهما ، إذ يقول القاضي : (( وما ذكرناه من الإيمان بأخبار الصفات من غير تعطيل ، ولا تشبيه ولا تفسير ولا تأويل . هو قول السلف بدءاً وعوداً . وهو الذي ذكره أمير المؤمنين القادر – رضوان الله عليه – في الرسالة القادرية )) . المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢١٠ .

(٧٠) أبو يعلى ، طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص١٩٨ ، وكان ذلك سنة ٤٣٢ هـ . المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢١٠ . أما الاعتقاد القادري فهو على ما نقله لنا صاحب طبقات الحنابلة وهو بنصه (( وما وصف الله سبحانه به نفسه ، أو وصفه به رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) : فهو صفات الله عز وجل ، على حقيقته لا على سبيل المجاز . )) ، ج٢ ، ص٢١٠ . إذ على أساس هذا الاعتقاد خرج أمر الخليفة القائم بجمع التواقيع .

(٧١) سترد ترجمته ضمن الحلقات العلمية وقد توفى ليلة الأحد ٥ شعبان سنة ٤٤٢ هـ .

(٧٢) أبو يعلى ، طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص١٩٨ .

(٧٣) المصدر والصفحة نفسيهما .

(٧٤) المصدر والصفحة نفسيهما ، وأنظر تفاصيل إبطال التأويلات وتوضيح ماهية أحاديث الصفات في نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٠٨ – ٢٠٩ – ٢١٠ – ٢١١ وما بعدها .

(٧٥) عيسى : الشيخ عبد القادر ، حقائق عن التصوف ، الرمادي ، ١٩٩٣ ، ص٩ .

(٧٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٣٣٤ .

(٧٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ٣٣٧ .

(٧٨) الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، ط٣ ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ج٥ ، ص١٥٩ . وابن بهلول : لم أجد نسبه في العديد من المصادر .

(٧٩) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج٤ ، ص١١٠ – ١١١ .

(٨٠) ابن العماد الحنبلي : عبد الحي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، بلا ، مجلد٣ ، ج٥ ، ص٢٠٣ ، أنظر كذلك ناجية عبد الله ، مسندة العراق شهدة الأبري ، ص٦٥ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٤ ، ص١١٠ . القيّم : لم أجد لها تعريفاً في المصادر المتاحة لي ولكن أعتقد أنها تعني القائم على خدمة وإدارة الجامع

(٨١) شذرات الذهب ، ج٣ ، ص٢٠٣ .

(٨٢) ابن الساعات ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٨٩ ؛ أنظر كذلك : المنذري ، التكملة ، ج٣ ، ص٢٧٦ .

(٨٣) د. بشار عواد معروف ، التربية والتعليم ، بحث منشور ضمن موسوعة حضارة العراق ، ج٨ ، ص٣٨ .إزدهار الحركة الفكرية ، بحث منشور ضمن موسوعة . العراق في التاريخ ، ص٥٠٣ ، بغداد ، ١٩٨٣

(٨٤) بشار عواد معروف ، ازدهار الحركة الفكرية ، المصدر السابق ، ص٥٠٣ .

(٨٥) بشار عواد معروف ، المصدر والصفحة نفسها .

(٨٦) بشار عواد معروف ، التربية والتعليم ، بحث منشور ضمن موسوعة ، حضارة العراق ، ج٨ ، ص٤٤ .

(٨٧) بشار عواد معروف ، المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٩ .

(٨٨) تاريخ بغداد ، ج٢ ، ص٦٨ ، وهي إشارة يأخذها عن الزجاج / أنظر كذلك بشار ، التربية والتعليم ، حضارة العراق ، ج٨ ، ص٤٠ .

(٨٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص١٨٨ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٤ ، ص٢٨- ٢٩ .

(٩٠) بشار عواد معروف ، التربية والتعليم ، حضارة العراق ، ج٨ ، ص٣٩ .

(٩١) الحموي ، إرشاد الأريب ، ج٤ ، ص١٥ .

(٩٢) الحموي ، إرشاد الأريب ، ج٤ ، ص ٣٠- ٣١ .

(٩٣) بشار عواد معروف ، التربية والتعليم ، حضارة العراق ، ج٨ ، ص٤٠ .

(٩٤) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، ج١ ، ص٢٢ ، أما الوصية فهي :

(٩٥) يوميات ، ج III ، ص٢٦ .

(٩٦) المصدر نفسه ، ج III ، ص ٢٤ .

(٩٧) ذيل تاريخ بغداد ، ج١٧ ، ص١٩٠ .

(٩٨) أبو يعلى، طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص٢٠٠ .

(٩٩) المقدسي ، نشأة الكليات ، ص٢١ .

(١٠٠) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٤٧ .

(١٠١) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٤٨ .

(١٠٢) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، ج١ ، ص٣٢٩ .

(١٠٣) ذيل طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص٣٤٤ ، وأنظر تفاصيل مدرسي فقه المذاهب الأربعة وأسماؤهم وتنظيم وتدريس وإدارة المدرسة في : ابن كثير ، البداية والنهاية ، مجلد ٧ ، ج١٣ ، ص١٦٣ – ١٦٤ .

(١٠٤) السامرائي ، قاسم حسن (( طراد بن محمد الزينبي )) ، مجلة التربية والتعليم ، الموصل ، العدد / ٧ ، ٢٠٠٧ ، ص٤٩ وما بعدها .

(١٠٥) المقدسي ، نشأة الكليات ، ص١٩ .

(١٠٦) السامرائي ، قاسم حسن آل شامان ، نقابة الأشراف في المشرق الإسلامي حتى نهاية حكم الأسرة الجلائرية ، ص٢٧٦ .

(١٠٧) المقدسي ، نشأة الكليات ، ص٢٠ .

(١٠٨) الحموي ، إرشاد الأريب ، ج٤ ، ص١٦ .

(١٠٩) المقدسي ، نشأة الكليات ، ص٢٠ .

(١١٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٦٧، وللتفاصيل أكثر ينظر المقدسي، نشأة الكليات، ص٢٠ .

(١١١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢٠٦ .

(١١٢) العلي ، معالم بغداد ، ص١٠٦ .

(١١٣) المقدسي ، نشأة الكليات ، ص٢٠ .

(١١٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٥٧٣ وهو يذكره نصاً فيقول (( قاص من الأشعرية يقال له البكري )) من غير التصريح بكامل اسمه ، أنظر كذلك المقدسي ، نشأة الكليات ، ص٢٠ – ٢١ ، ويعطي ابن العماد الحنبلي توضيحاً أكثر لرغبة هذا الرجل فيقول : (( البكري أبو بكر المقرئ الواعظ من دعاة الأشعرية وفد على نظام الملك بخراسان فَنفق عليه وكتب له سجلاً أن يجلس بجوامع بغداد فقدم وجلس ووعظ ونال من الحنابلة سباً وتكفيراً ونالوا منه ولم تطل مدته ... )) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مجلد٢ ، ج٣ ، ص٣٥٣ .

(١١٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٤٧٥ .

(١١٦) ابن النجار ، ذيل ، ج١٧ ، ص١٢٨ .

(١١٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٤٧٥ .

(١١٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٥٧٣ .

(١١٩) ابن النجار ، ذيل تاريخ بغداد ، ج١٧ ، ص١٢٨ – ١٢٩ .

(١٢٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص١٤٥ ، أي خرج مشدوه البال لا عقل له ، ويرى المقدسي في نشأة الكليات ، ص٢١ أنه تقدم بطلبه إلى الخليفة وأن الخليفة هو الذي حذره .

(١٢١) المقدسي ، نشأة الكليات ، ص٢١ .